وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية- بغداد
مركز البحوث والدراسات الإسلامية
(مبدأ)

مجلة الجامعة العراقية

مجلة علمية محكَّمة نصف سنوية

يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية

(مبدأ)

الجامعة العراقية/ بغداد

السنة الثامنة عشرة العدد ٢٧/ ١ ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

مجلة الجامعة العراقية/العدد (١/٢٧)

(٢٠١١م)

بغداد- الجامعة العراقية

الترقيم الدولي لليونسكو ISSN ١٨١٣- ٤٥٢١

الإخراج الفني: باسل عبد الكريم صالح

تنضيد: مقداد حسين، سوسن فائق، تبارك أحمد، هناء كاظم

عنوان المراسلات:

العراق- بغداد- محلة ٣٠٨ شارع ٢٢/ الجامعة العراقية

أ.د.إبراهيم عبد صايل الفهداوي: رئيس هيئة التحرير

هاتف: ٤٢٥٤٢٥٧

فاكس: ٤٢٥٣٢٤٦

البريد الالكتروني للجامعة: islamicuniversitybag@yahoo.com

البريد الاليكتروني للمجلة:mabda_irsc@yahoo.com

***ملاحظة*: ما يرد في المجلة من آراء ووجهات نظر لا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير أو وجهة نظر الجامعة العراقية.**

المحتويات

اسم البحث	الصفحة
١- الطين في القرآن الكريم- دراسة صرفية دلالية	
م.م.ابتسام عباس علاوي.....	١- ٣٠
٢- الياء الزائدة في القرآن الكريم عند القراء العشرة	
د.محمد عبد القادر الخلف.....	٣١- ٦٦
٣- الاتجاه اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري	
د.عمار عبد الكريم عبد المجيد.....	٦٧- ٨٨
٤- تزكية النفوس أساس بعثة الرسول الاعظم ﷺ	
د.هاشم عبد ياسين المشهداني.....	٨٩- ١٠٤
٥- الحديث الحسن في الوضوء الحسن لأبي الحسن محمد البكري الشافعي (٨٩٩-٩٥٥٢هـ)	
د.قتيبة ضياء سهيل	
م.م.معتصم محمود إسماعيل.....	١٠٥- ١٤٦
٦- يحيى بن يحيى وآراؤه الفقهية	
م.د.جمال إبراهيم حمادي.....	١٤٧- ١٨٤
٧- ظاهرة اللحن وأثرها في اللغة	
م.م.تغريد محمد صالح.....	١٨٥- ١٩٨
٨- الأثر الصوتي للحرف في التركيب القرآني	
المدرس خالد شاكر.....	١٩٩- ٢٢٦
٩- التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية في سورة المائدة	
د.هدى هشام اسماعيل.....	٢٢٧- ٢٤٦

اسم البحث	الصفحة

١٠- تاريخ دخول المسيحية في العراق

م.م.ثائر غازي عبود العاني..... ٢٤٧- ٢٦٤

١١- موقف بريطانيا من التوسع المصري في الخليج العربي (١٨١٩- ١٨٤٠م)

م.م.خالد عبد نمال الدليمي..... ٢٦٥- ٢٩٠

١٢- فاعلية خطاب السلطات الإعلامية وأثر ذلك في ترسيخ ثقافة المجتمع

د.فاضل محمد البدراني

د.طالب بدر فياض..... ٢٩١- ٣١٤

١٣- التعاقد عبر الانترنيت ومدى مشروعيته في القانون العراقي

أقدس صفاء الدين رشيد..... ٣١٥- ٣٤٤

١٤- أثر التخطيط الاستراتيجي وموائمة مخرجات التعليم العالي لمتطلبات سوق العمل في دعم سياسات التنمية العراقية

رشا جاسم أحمد العبيدي..... ٣٤٥- ٣٧٢

١٥- English for Specific Purposes in Iraq

محمود عارف عيدان

أحمد عبد الوهاب مهدي..... ٣٧٣- ٣٩١

(الطّينُ) في القرآنِ الكريمِ
دراسة صرفية- دلالية

م.م. ابتسام عباس علاوي
كلية البنات/قسم اللغة العربية

المُقدمة

الحمدُ للّـه ربَّ العـالمين، خـالقِ الإنسـانَ مـن طـينٍ، جاعلـهُ فـي القـرارِ المكـين، والصلاةُ والسلام على خيرِ خلقهِ محمدٍ المبعوثُ رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين. أما بعدُ...

فالعدمُ مبدؤنا وإلى العدمِ منتهانا، صورة حيةٌ هي الأخرى من صِور الاعجازات الربانية ناطقة باسم القدرة الإلهية، والتفرد بالوحدانية لخالق الأكوان والبشرية، خَلقُ آدم عليه السلام من (الطين) هذه المادة عديمة الحياة شكّل الله منها البشر وغيرهم من الأحياء، فقال الله سبحانه ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [السجدة: ٧] فيا لها من قدرة! ويا لها من عظمة! ويا لها من حكمة بالغة !مهما بحثنا فيها ونبحث لن نصل إلى السر الإلهي الذي قصده الله (جل وعلا) من ذلك. ولكنِ الله فتح لنا باب طلب العلم والبحث في معرفة الأشياء والتي اختص بها البشر دون السؤال أو البحث في أشياء تتعلق بعلمه سبحانهِ– الغيبيات– فبحثت (الطين) في دراسة صرفية دلالية بالآي القرآني والسياق الذي وردت فيه فارتأيت أن ادرس من (الطين) بنيته عبر النصوص اللغوية وأصلها الاشتقاقي وما يتعلق بالإبدال الحاصل بين النون والميم فيها، أما الدلالة القرآنية كان لها نصيبُ وافرٌ من هذه الدراسة، فحددت بعض المفاهيم المتعلقة (بالطين)، وربطت الصور المتشابهة مع بعضها البعض. ويبقى القران الكريم أساسا لكل الحقائق العلمية التي تم التوصل لها، أو ما سيتوصل إليها فيما بعد، لأن القرانَ يقينٌ وما ذكرَ فيه حق اليقين، وعلينا أن نتصدى للذين في قلوبهم مرض، أو شكّ، يريدون أن يضللوا الحقائق. فالبداهة تقتضي أن يكون القرآن قاعدةً وعلى وفقه يتم التطبيق وليس لنا أن نثبتَ شيئا يناقض، أو يخالف الحقائق القرآنية، فثمة دراسات حديثة وبحوث جديدة، تحاول أن تثبتَ– ويكون لها السبق– في دور المواد الموجودة في الطين في تكوين بعض العمليات الأولية لتكوين الحياة، حديث يراد بهِ باطل؛ لأن علم القرآن حقيقة يقينية لا يمكن أن يخالفها عاقل، وما البحوث والإثباتات الحديثة إلا طمأنة للقلوب غير المؤمنة، والمريضة التي تشكك في حقيقة هذا الكون العظيم، فحري أن نجعل القاعدة القرآنية أساسا لأيِّ عمل أو تنظير علمي، وليس البحوث هي القاعدة، أو هي الأساس والعلماء هم من توصل إلى ذلك؟

هذا وما أوتينا من العلم إلا النزر اليسير ويبقى الفضل لله (عزّ وجل) الذي أعاننا في بحثنا. هذا ولا أدعي الكمال له فالكمال لله وحده، ولكني حاولت فيه محاولة طالب علم أحب التقرب إلى الله عن طريق كتابه الجليل، وأرجو من الله الفائدة لنا، و لمن يقرأ محتواه، وما توفيقي إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمدَ لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين.

الآيات التي ورد فيها ذكر لفظة (الطين) في القران الكريم:

لقد ورد ذكر (الطين) في القران الكريم في اثني عشر موضعاً، على النحو الآتي:

١. ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

٢. ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِي ﴾ [المائدة: ١١٠].

٣. ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢].

٤. ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف: ١٢].

٥. ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [الإسراء: ٦١].

٦. ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

٧. ﴿ فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

٨. ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [السجدة: ٧].

٩. ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾ [ص: ٧١].

١٠. ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾[ص: ٧٦].

١١. ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾[الصافات: ١١].

١٢. ﴿ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٣-٣٤].

الدراسة الصرفية

الدراسات الصرفية التي بحثت في الأصول الاشتقاقية للمواد اللغوية كان لها الفضل في الكشف عن حقائق الألفاظ، وإلى أيّ البُنى الصرفية تنضوي، (الطين) لفظة عربية دون شك، وهي اسم ثلاثي الأصول، ولكن ثمة خفايا لغوية سنبينها من خلال نص لغوي منقول من معجم لغوي ضخم، وغني الفائدة في تبيان الحقيقة اللغوية لهذه اللفظة.

جاء في معجم اللسان: «الطِّينُ معروفٌ الوَحَلُ، واحدته طِينةٌ، وهو من الجواهر الموصوف بها...؛ ويوم طانٌ: كثير الطين، وموضع طانٌ كذلك، يصلح أن يكون فاعلا ذهبت عينه وأن يكون فِعْلاً... وطِنْتُ الكتابَ طيناً، جعلتُ عليه طِيناً لأختِمَه به. وطانَ الكتابَ طَيناً وطيَّنه:ختمه بالطين، هذا هو المعروف. وقال يعقوب: وسمعت من يقول أطِنِ الكتابَ أي اختمهُ، وطِينَتُهُ خاتمهُ الذي يُطَيَّن به... الجوهري: طَيَّنتُ السطحَ، وبعضهم ينكره ويقول طِنْتُ السطحَ، فهو مَطِينٌ... والطيّانُ: صانع الطين، وحرفته الطيّانةُ... والطِّينةُ: الخِلقة والجِبِلّة. يقال... فلانٌ من الطينة الأولى، وطانَهُ الله على الخير وطامَهُ أي جَبَله عليه...، يقال طانهُ الله على طِينتهِ أي خلقه على جِبِلّتهِ... وطَيناً مصدر من طانَ. لقد طانَني الله على غير طِينَتِك. ابن الأعرابي... طانَ فلانٌ وطامَ إذا حَسُنَ عَمَلَهُ»[١].

من النص السابق نستشفُ جملة من الفوائد:

الفائدة الأولى: إن (الطينَ) جوهرٌ، وهو «ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع...»[٢]، بمعنى أنّه (اسمُ عين) وهو ذلك «الاسم المرتبط بالحسيات، وله كيان خاص يعرف به، وأهميته متأتية من استقلاليته بالإفهام، ولدلالته على الذات خاصة»[٣].

الفائدة الثانية: يعد الطينُ اسماً للجنس الجمعي إذ فَارُقه عن مفرده أو واحده التاء أو الياء[٤].

فاسم الجنس الجمعي «هو ماله مفرد يشاركه في اللفظ والمعنى ولكن يفرق بينه وبين واحده بتاء التأنيث أو ياء النسب، فمثال ما ختم مفرده بالتاء: شجر ومفرده شجرة... ومثال ما ختم مفرده بياء النسب عرب ومفرده عربي...»[٥].

الفائدة الثالثة: (الطينُ) من الجواهر الموصوف بها، بمعنى، «أنّ الاسم الجامد فيه معنى الوصفية، ويمكن الاستعاضة به إذا ما أريد الوصف لشيء ما، لكون دلالة الاسم الجامد كاملة وواضحة ومتحقق فيها معنى الثبوت»[٦].

فهو ليس بصفة وإنما يحُمل الطين على معناه، قال سيبويه: «مررت بصحيفة طين خاتمها على هذا الوجه... يجعلونه كأنه وصف»[٧]، فبذلك نحمل طينا على مَطِين، وهذا محكيُ عن العرب، وأمثلة ذلك كثير، نحو... رجل أسدٌ، ناب حديدٌ، قاع عرفجٌ... وهلم جرى.

الفائدة الرابعة: تعد هذه الفائدة من أهم ما يمكن أنْ يذكر في هذا المجال وهي تحقق خاصية الاشتقاق من الاسم الجامد أو (اسم العين). فالاشتقاق هو أحد وسائل نماء اللغة وزيادة مفرداتها، فهو «نزع لفظ من آخر، بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة»[٨]، فقد تم الاشتقاق من (الطين) مشتقات اسمية وفعلية صريحة، سنبين ذلك حسب ورودها.

١- يومٌ طان: كثير الطين صيغة مبالغة «بناء على التفسير اللغوي» ولنا مع هذا المثال وقفة لاحقا.

٢- طنت الكتاب طينا. فعل ماضي مجرد، وهو من باب باع[٩]، وعليه فان الفعل المشتق من الاسم الجامد (الطين) في حالة الثلاثي المجرد يُرّد إلى الباب الثاني (فتح كسر).

٣- طان الكتاب طينا... ذكر الفعل ومصدره ووزن (طَيْناً) هو (فَعْلاً) وهذا هو القياس وفق الباب الثاني[١٠].

٤- طَيّنته: هنا الفعل مضّعف ثلاثي الأصول على وزن فعّل= طَيّنَ.

٥- طينته: اسم آله على غير الأوزان القياسية، فهو سماعي، وقد أبانت الدلالة اللغوية ذلك، إذ قال...، وطينته خاتمه الذي يطين به...[١١].

٦- مَطِين: على زنة مَفْعِل صفة مشبهة.

٧- الطيّانُ: فَعَّال/ لذي المهنة أو الحرفة (فقد تغيرت هذه الصيغة من دلالتها على المبالغة[١٢]- صيغة قياسية- إلى الدلالة على الحرفة) إذ «أنّ العرب تنسب إلى الحرف والصنعة بصيغة (فعّال) غالبًا كالفرّاء والرّفاء والنسّاج...»[١٣]، وقد وردت صيغة (فعّال) وهي مشتقة من الاسم الجامد (اسم العين) للدلالة على الحرفة «إذا أنها تلزم المداومة والاستمرار على عمل شيء حسي وهذا ما يختص به الاسم الجامد»[١٤].

٨- الطيّانة الفعّالة وهي الحرفة ذاتها.

الوزن الصرفي لـ (الطين)

مقابلة أحرف الكلمة بـ(فعل) وما يطرأ عليها من زيادة أو نقصان ومن إعلالٍ وإبدال وغيرها من التغيرات هذا هو الميزان[١٥].

فالوزن «يعطي الكلمة صورتها وشكلها، وتجعل لها جرسا ووزنا معينا»[١٦]، فالميزان صرفي هو الوسيلة المهمة في التحقق من معرفة الزائد والأصلي من حروف الكلمة، «ويعد هذا الميزان أحد موازين ثلاثة في اللغة العربية، ثانيها وزن التصغير، وثالثها: وزن الشعر»[١٧].

والذي يطالعنا في لفظة (الطين) وجود (الياء) في جوف الكلمة، وهذا الأمر يؤدي إلى بدُية التحقق من أصالتها أو الحكم بزيادتها، لأنها من الأحرف الزائدة، وقد جمعت الأخيرة في جملة (اليوم تنساها) أو (أمن وتسهيل وغيرها)[١٨]، وهي- الياء- أيضا من حروف العلة، يقول ابن عصفور: «فحروف العلة هي الواو والياء والألف وهذه الحروف تكون أصولا وزوائداً...»[١٩]، وهذا يعني أنّ (الياءَ) إما أصلية أو زائدة، وبعد ذلك يُفصّل في المعتل العين بقوله: «فان وقعت الواو والياء عينين فلا يخلو أن يكونا عينين في كلمة على ثلاثة أحرف، أو على أزيد، فإن كانت الكلمة على ثلاثة أحرف فلا يخلو أن تكون اسماً أو فعلا...»[٢٠]، ويمضي في القول إلى أنّ يصل إلى أصالة الياء في الاسم الثلاثي الحروف، إذ يرى «فان وقعت الواو والياء عينين في اسم على ثلاثة أحرف فإنّه لا يخلو من يكون على وزن من أوزان الأفعال...»[٢١].

إذا حكمنا على ظاهر الأمر فالياء في (الطين) أصلٌ، الذي يؤيد ذلك أنها ذكرت تحت الجذر(طين) في المعجمات[٢٢]، ومنها لسان العرب، وهذا يعني أنها من الألفاظ اليائية العين. زد إلى هذا أنّ النص المنقول عن اللسان يؤكد هذه الحقيقة «... وموضع طان كذلك يصلح أن يكون فاعلا ذهبت عينه وأن يكون فعلا...»[٢٣]، ولو كانت ليس بأصل فكيف تضعف عند اشتقاق الفعل المضعف من(الطين)، بقول العرب «طينتّه... يُطيّنُ بهِ...» على زنة فعّل؟!!

وهذه الحقيقة تبّين لنا أصالة الحرف في هذه الكلمة، وإذا فرضنا أنها زائدة في لفظة (الطين) هذا يؤدي إلى ثنائية اللفظة، بمعنى (طِنٌ) وعلى هذا تفقد اللفظة معناها ولا يوجد- عند البحث في المعجم[٢٤]-، جذر ثنائي (طن) وله دلالة لغوية. والقياس في الأسماء أنْ تكون ثلاثية ورباعية وخماسية الأصول، وأما يدٌ، فمٌ، دمٌ، أخٌ، وسواها ففيها

حذف أما فاؤها أو عينها أو لامها، وهي ألفاظ معلومة[٢٥]، ومن ذلك نخلص بنتيجة، أن الوزن الصرفي للفظة (الطين) هو (فِعْل) وهذا الوزن هو أحد أوزان الأسماء الثلاثية المجردة التي قالت بها العرب[٢٦].

الإبدال بين الطِين والطِيم

من الظواهر اللغوية التي شاعت عند العرب ظاهرة الإبدال الصوتي، ولاسِيّما في الأصوات التي بينها علاقة مخرجية أو صفة صوتية معينة يتفقان أو يتقاربان فيها، فالإبدال «وضع الشيء مكان غيره على تقدير إزالة الأول أو تنحيته»[٢٧].

وإزالة الأول لا يقصد بها إزالة فعلية؛ إذ يمكن لنا أن ننطقَ بالأول وننطق بالآخر وقد فَسّر ابن جني ذلك في «باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان الآخر»[٢٨]، بدال لا يقتصر على الأصوات الصحيحة بل المعتلة كذلك «فالأصوات تلتقي في خصائص مشتركة وتتباعد بخصائص أخرى فإذا تحقق للصوتين أساس القرابة الذي يجمعها أمكن لأحدهما أن يتبادل مع الآخر سواء في شكل ورود كل منهما في صورة من صور الكلمة أم في شكل حلوله محله»[٢٩].

فالعرب إن أبدلت صوتا محل صوت آخر دون تغير في المعنى فُسّر هذا الإبدال بأنه من قبيل الترادف في اللهجات، «قال أبو الطيب في كتابه: ليس المراد بالإبدال أن العرب تعتمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلاّ في حرف واحد»[٣٠].

وقد حصل الإبدال في لفظة (الطين) عند العرب «... وطينة الرجل: خلقته واصله، وطينا مصدر من طان، ويروى طيم عليه بالميم، وهو بمعناه... ابن الأعرابي: طان فلان وطام إذا حسن عمله...»[٣١].

وقد نص ابن عصفور على هذا الإبدال في كتابه «وأبدلت من النون «يعني الميم»[٣٢]، فيما حكاه يعقوب عن الأحمر من قولهم طانه الله على الخير وطامه أي: جبله»[٣٣].

وقد تحرينا عن كلمة (الطيم) معجمياً وجدنا أن لها جذراً مغايراً لجذر لفظة (الطين) وكان جذر لفظة (الطيم) هو (طيم)[٣٤]، بمعنى أنها لفظة تختلف عن (الطين) من حيث

الهيئة، فالمادتان منفصلتان في جذريهما، ففي الطيم ذكر ابن منظور: «طامه الله على الخير يطيمه طيما: جبله... ومنه الطيماء، وهي الجبلة، والطيماء: الطبيعة. يقال: الشعر من طِيمائه أي من سوسِه، حكاها الفارسي عن أبي زيد، قال: ولا أقول إنها بدلٌ من نون طانَ لأنهم لم يقولوا طيناء»[٣٥]، فصريح النص يذكر أنَ الميم ليس بمبدلة عن النون في كلمة (الطين).

والملاحظ أيضا أن الإبدال حصل في المعنى الثاني وهو الدلالة على الطبيعة أو الجبلة، وليس الوحل- والله اعلم-.

لذا يمكن القول إن النون هي الأصل في لفظة (الطين) أما (الطيم) فهي لفظة أخرى، وقد سمعت الأولى بنطق الثانية لأن النون والميم متقاربان في الصفة الصوتية، يقول الدكتور كاصد الزيدي: «تعد الميم من تلك الصوامت التي يطلق عليها اسم الصوامت الغناء فهي في هذه الصفة كالنون»[٣٦].

الدراسة الدلالية

الألفاظ أوعية المعاني، ولا قيمة للمعنى ما لم يُصب في قوالب تبينه، والألفاظ تأخذُ أقدارها من معانيها، فقد يصيبها انحطاط في دلالتها أو رقي،وكل ذلك سببه الاستعمال، ويتم معرفة ذلك عبر الدراسات الدلالية.

فعلاقة اللفظ بمعناه من القضايا المهمة التي أولاها العلماء القدامى عناية كبيرة وتابعهم المحدثون في هذا النهج.

والدراسة التي بين أيدينا ما هي إلاّ بحثٌ في دلالة لفظة عربية ورد ذكرها في القرآن الكريم عبر سياقاتٍ مختلفةٍ تتفقُ في مدلولها العام، وبعد التقصي وجدنا دلالات مضافة لأحدها دون الأخرى، إنها لفظة (الطين)، فالطين مادة الإنشاء الأولى في بناء الإنسان الأول المتمثل بسيدنا آدم عليه السلام (فالطين) مبدأ الخلق- لا نقول التراب لأن الترابَ جزءُ من الطين- ومن هنا أخذت هذه اللفظة قدرها بين الألفاظ القرآنية.

ومن الجدير بالذكر أنّ (الطين) له أوصاف تتغير فيها مُسماهُ، يقول الثعالبي: «إذ كانَ حراً يابسا فهو صلصال، فإذا كان مطبوخا فهو الفخار، فان كان علكا لاصقا فهو لازب، فإذا غيره الماء وأفسده فهو، الحَمأ»[٣٧]، فهذه فالمسميات الأربعة ذكرت في القرآن

وغالبا ما تذكر مع أحوال (الطين) أو تذكر للدلالة على (الطين) دون ذكر كلمة (طين) ومثال ذلك قال تعالى: ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١].

وكذلك: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦].

وقوله تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤- ١٥].

وعليه ستكون الدراسة الدِلالية مُكرّسة في الآيات التي تحوي لفظة (الطين) حصراً، وسنقسم الآيات التي وردت فيها اللفظة على زمرٍ باتفاق المعاني التي أدتها، كما يأتي:

أولاً: (الطين) مادة الخلق الأول

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١].

تحدثنا الآيتين المباركتين عن قصة الخلق (قصة البشرية)، فيقصها لنا ربُ الأرباب دون الخوض في معرفة الأسباب، في إطار بياني رائع، يقول سيد قطب (رحمه الله): «وما ندري نحن كيف قال الله أو كيف يقول الملائكة، وما ندري كذلك كيف يتلقى الملائكة عن الله ولا ندري عن كنههم إلا ما بلغنا من صفاتهم في كتاب الله، ولا حاجة بنا إلى الخوض في شيء من هذا الذي لا طائل وراء الخوض فيه»[٣٨].

وفي كتبِ الحديثِ الكثيرُ عن قصة الخلق وفيها الشروح والإيضاحات ولكنها بقدر، فمنها «أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض»[٣٩].

ومما روي عن النبي ﷺ «**أنَّ الله خَمّر طينة آدم أربعين صباحا ثم خلطها بيده فخرج كل طيب بيمينه وخرج كل خبيث بشماله ومسح إحدى يديه بالأخرى**»[٤٠].

وهناك حديث فيه تفصيل عن هذا النبأ العظيم: «أن الله خلق آدم من تراب فجعله طينا ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كانَ صلصالا كالفخار، كانَ إبليس يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه وكان

أول ما جرى فيه الروح بصره، وخياشيمه فعطس، فقال الحمد لله، فقال الله يرحمك ربك...»[٤١].

ولا ريب في أن القران يفسر بعضه البعض وكان حديث الرسول مستندا الى القران وما أوحي إليه- ففي ترتيب متناسق سنذكر الآيات القرآنية والتي تمثل الأطوار[٤٢]، في خلق سيدنا آدم عليه السلام. ونترك المتشابه منها لأن الآية الواحدة تعد دليلا كافيا لإثبات أية حقيقية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج: ٥].

﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [السجدة: ٧].

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ [الصافات: ١١].

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر: ٢٦].

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤].

وبعد أن اكتملت الهيئة لسيدنا آدم، نفخ الله عز وجل الروح فيه، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨- ٢٩].

وبعد هذا الأمر العظيم في خلق الخالق لهذا المخلوق، وأصبح واقعاً لا محالةَ كائناً أمامَ أعين الناظرين، أتى أمرُ الله (عز وجل) بتكريم هذا المخلوق وفي الملأ الأعلى إذ «أعلن هذا الميلاد في حفل كوني كان شهوده الملأ الأعلى»[٤٣].

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [الإسراء: ٦١].

فالسجود هنا جاء تكريما من عند الله ولم يكن سجودَ عبادةٍ البتة.

وهذه رسالة للبشر بألاّ يُهنْ الإنسان نفسه والله (عز وجل) قد كرّمه وفضّله وأعزّه.

والإنسان بطبيعة الحال مكون من شيئين أساسين هما الجسد (الهيئة) والروح (الكينونة)، فخُلِقَ جسداً من طين وقد بيّن الله (عز وجل) ذلك بسلسلة متصلة- مثلما وضح الحديث السابق ذلك- وما آل إليه (الطين) بعد هذا. وأما الروح هي سر الحياة أو كما وصفها سيد قطب (بالنفحة العلوية)[٤٤]. فقد ارتقى الطين بامتزاجه مع السر الإلهي فأصبح

شيئا عظيماً، «ولقد نفخ الله من روحه في هذا الكائن البشري لأنه إرادته اقتضت أن يكون خليفةً في الأرض، وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها له، حدود العمارة ومقتضياتها من قوى وطاقات»(٤٥).

تطالعنا إحدى الدراسات الطبية في الآونة الأخيرة إلى أن «احد المعادن المكونة للطفل أو الطين الصلصالي ويطلق عليه» سيليكات الألمنيوم المائية «يساعد الخلايا على استخدام مواد وراثية تسمى الحمض الريبي النووي (RNA) التي تشكل بدورها أحد العناصر الرئيسية للحياة»(٤٦). وإن أخر ما توصل إليه جاك شوستاك ومارتن هانزتيش وشيلي فوجيكاوا إلى أن «الطين سرّع من عملية تكوين الأحماض الأمينية لتكوينات تشبه الأكياس الصغيرة تسمى (الحويصلات) كما ينقل الطين أيضا الحمض الريبي النووي إلى داخل هذه الحويصلات»(٤٧).

لا نريد أن نعلق على آخر ما توصل إليه العلم، سوى القول ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، نحمد الله إنّا مسلمون فالقرآن الكريم قد فصّل القول في هذا الأمر قبل أكثر من أربعة عشر قُرنا، وما توصل إليه العلم إلاّ نزرا من فيض علم الله الكبير (سبحانهُ).

ولنا في خلق سيدنا آدم الدروسَ والعبر، نهتدي بها ونجعل منها دستورا نسير أمورنا وفقه، فاعلمْ أيّها الإنسان أنّ خلقك كان لغايتين العبادة والعمارة. فاعبدْ الله واخلصْ له في عبادتك وعمّرْ الأرض الذي استعمرك فيها...

ولقد استوقفني في الحديث أمراً عجيبا إن تغيّر طينة سيدنا آدم من حال إلى حال أو من هيئة إلى هيئة أخرى دام أربعين صباحا، مدة طويلة، فيما لو وازناها بخلق السموات والأرض الذي دام من الأيام ستة، يقول الله (سبحانه): ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [السجدة: ٤] العجيب أن أمر الله في كن فيكون،أما خلقُ الإنسان فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يأخذ من الوقت الكثير! فهذه رسالة إلى البشر كافة إن خلقَ الإنسان لا يكون إلا من عند الله، وفي خلق الإنسان أسرارٌ وخفايا لا يعلم بها إلاّ خالقه (سبحانه) فلا تَخُضْ فيما ليس لك به علم، ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فخلقك أيّها الإنسان أعظم (عند الله) من خلق السموات والأرض وما بينهما فلا تُحقرْ نفسك بارتكابك للآثام فتعود إلى أصلك حمأ مسنون...

وأمر آخرٌ عظيم في شأنه، مذهل في إتقانه، فيه كل ما يمكن أن يحتمل، فلا يغادر أي احتمال ممكن فلا يدخله شك أو ريب (سبحانه) عظمتْ قدرته، ووسعت حكمته، وتعالى سلطانه. إذ خلق البشر مختلفون خِلقَةً وطباعاً مشابهة للأرض التي خلقوا منها، ففي الحديث «أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض»[٤٨]. فجاء منهم الخبيث والطيب والسهل والحزن، والأحمر والأبيض والأسود... ولولا هذا التمايز والاختلاف لما حصل التنافس ولكانوا جنساً واحداً وطبعاً واحداً وطبقة واحدة، فكل الاختلافات ما هي إلا آيات دلت على عظمة الخالق وقدرته، هو دليل وحدانيته ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ثانياً: المفاضلة بين الطين والنار

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦].

الآيات المباركة في أعلاه تكشفُ عن أول عصيانٍ وتمردٍ في الخليقة، وكان بدافع الحسد والكِبر والشعور – في حقيقة الأمر – بالنقص...

جدال عقيم طغى على أسلوب الملعون إبليس وكان قوله باطل لا يستند إلى حجة تبررُ فعلتَهُ... إذ رفض الامتثال لقول الله (عزّ وجل) في أمر السجود لسيدنا آدم عليه السلام وكانت حُجته أنهُ أفضل منه بل خير منه واستند على أساسٍ واهنٍ هو (مادة الخلق) فالله خلق إبليس (لعنه الله) من نار أما سيدنا آدم عليه السلام فخُلق من طينٍ. ويقرر هو (لعنه الله) الأفضلية، ويعدُ الطينَ أقل شأناً من النارِ.

يقول أهل العلم: «وقياس إبليس هذا (لعنه الله) باطلُ من ثلاثة أوجه:

الأول: أنّــه فاســدُ الاعتبــار لمخالفــة الــنص الصــريح «قولــه تعــالى للملائكــة ومنهم إبليس بالأمر بالسجود لأدم في سورة الأعراف: ١٢».

والثــاني: إنــا لا نســلم أن النــار خيــر مــن الطــين بــل الطــين خيــر مــن النــار لان طبيعتها الخفة والطيش والإفساد والتفريق وطبيعته الرزانة والإصلاح.

الثالــث: أنّــا لــو ســلمنا تســليما جــدليا أن النــارَ خيــرٌ مــن الطــين فإنَــه لا يلــزم من ذلك أن إبليس خير من أدم لأن شرفُ الأصل لا يقتضي شرف الفرع...»[٤٩].

من ذلك نخلص ببطلان قول إبليس، وقياسه في الأفضلية كان خاطئاً، وإن تزكية النفس والحكم بأنها خير من غيرها أمر غير جائز.

والعبرة من ذلك كله أنّ الكِبرَ والغرورَ يُفضيِ بنا إلى المهالك، وهذه رسالةُ تحذير للبشر من مغبة الوقوع في هذه الصفة. ولنا العبر مما أصاب المتكبرين والجبابرة أمثال فرعون وهامان وقارون، وقد قّص لنا القران الكريم قصصهم... وما حلّ بهم من عقوبات ربانية، والتاريخ فيه من العبِر الكثير.

ومن هنا ومن مشهد أول عصيان في الخليقة كان الصراع بين الخير والشر. إلى قيام الساعة عند ذاك سيكون الحكم النهائي، ولله الأمر جميعاً أما العيش الرغيد وحياة أبدية أو الجحيم هي الوعيد وحياة ويليه.

ثالثاً: تفصيل الخلق من العدم (الطين) إلى الوجود (كائن حيّ).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢- ١٦].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ٨ -١١].

لخصّ الله (جلّ وعلا) سلسلة الخلق في خمس آيات موجزاتٍ دلّتْ على قدرته، وحكمته البالغة وعظيم سلطانه في سياق قراني محكمٍ رصينٍ، يُدحض التكهنات والفرضيات، وما يتسرب إلى عقول البعض من شكوك وظنون، سيّما أنّ العلمَ الحديث قد اهتم في هذه القضية وأولها عناية كبيرة في الكشف المبكر عن جنس الجنين، وأطوار نموه في الرحم، عبر الوسائل الحديثة، والتقنيات الالكترونيات (السونار)، والحساب الرياضي الدقيق، وغير هذا. والعلم لا زال في تطورٍ مستمرٍ، ويبقى علم الله أعظم، وهو وحده الأعلم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

من الآيات السابقة يتضح لنا أنّ سلسلة الخلق مغلقة، وثابتة في خطواتها، دون أن تتقدم خطوة على أخرى- لحكمة بالغة- إلى أنْ تكتملَ صورته وهيئته وبعد هذا يأتي الخلق الآخر وهو بث الحياة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

نجد في سورتي [المؤمنون: ١٢- ١٦] و[السجدة: ٧- ١١] تفصيلاً للخلق أو عملية الخلق، وعليه سنذكر نقاط التلاقي بين السورتين، من خلال الآيات الخمس مع مراعاة تسلسلها:

سورة المؤمنون (١٢- ١٦)	سورة السجدة (٧- ١١)
الآية (١٢) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾	الآية (٧) ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾
الآية (١٣) ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾	الآية (٨) ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾
الآية (١٤) ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾	الآية (٩) ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾
الآية (١٥) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾	الآية (١٠) ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾
الآية (١٦) ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾	الآية (١١) ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

القرآنُ يكملُ بعضه الآخر، ويفسرُ بعضه بعضاً. فربّ غموض يعترينا في الوصول لإبهام معين في القران؛ نجدُ أنّ القرآنَ ذاته يزيله، وقد كان نهجا لبعض المفسرين متبع. والذي يطالعنا من خلال النظر إلى السورتين- لبادئ الأمر- الرباعي الحتمية للخلق «عدم فوجود ثم عدم فوجود» والاعتبار غاية القران وبأساليب متعددة. ففي سورة المؤمنون قال (عز من قائل): «﴿ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ أمّا في سورة السجدة قال (جل وعلا): ﴿ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾، فالله (جّل وعلا) أراد بالإنسان هنا (آدم) إذ «جعل الإنسان اسما للجنس»[٥٠]. وقد اختلف المفسرون إزاء هذا الأمر إلاّ أنّ أقرب الآراء صحةً المراد بالإنسان هنا سيدنا آدم[٥١]، وفي آيات خلق سيدنا (آدم) يذكر الله الفعل (خلق) ثم يتحول الفعل إلى (الجعل) في سياق الخلق الجديد (خلق الذرية) وهذا يعني أنّ بني آدم قد خُلقوا من مادة أخرى (الماء المهين) كما وضحته (الآية ٨ من السجدة). وهي تختلف من حيث النوعية مع (الطين) إلاّ أنّ التشابه كان في المدلول. فـ(الطين) أو (الوحل) شيء رخيص دنيء، و(الماء

المهين) هو القليل الضعيف، أو كما جاء في اللغة إنّ المهين هو الحقير، و«... امتهنت الشيء ابتذلته. ورجل (مَهِينٍ) أي حقير...»[٥٢] أما النطفة فهي الماء المهين إذ «إن قولك النطفة يفيد أنّها ماءٌ قليلٌ والماء القليل تسميه العرب النطفة... ثم كَثُر استعمال النطفة في المني حتى صار لا يعرف بإطلاقه غيره...»[٥٣] يقول الإمام الغزالي: «فأنظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها ربّ الأرباب من الصلب والترائب»[٥٤].

أمّا (الآية ١٤ من سورة المؤمنون) والتي فصّل رب العالمين بدقة المراحل التي يمر بها الجنين إلى أن يصلَ (سبحانه) إلى ﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ وهذا ما بينته (الآية ٩ من سورة السجدة) وهي عملية بث الحياة فيقول عز وجل: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، وهذه الآية من حيث الموضع في الآيات الخمس التي حددناها بموازاة الآية في سورة المؤمنون، وأغلب الظن إن تساءلَ سائلٌ عن معنى النشأة الأخرى أو الخلق الأخر فهذه الآية قد بينت ذلك[٥٥]، ولسنا بصدد الشرح والتفصيل فالآيات بيّنة الدلائل، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

والتساؤل الموجود في (الآية ١٠ من السجدة) أجابت عنه الآية التي تقابلها من سورة المؤمنون (الآية ١٥) هو الموت، والموت في (سورة المؤمنون من الآية ١٥) يجاب عنه في (سورة السجدة الآية ١١) ملك موكل للموت والآية الأخيرة من الخمس لكلتا السورتين أنّ يوم القيامة هو يوم الرجوع إلى الله **(وهو ربكم ورب كل شيء)**، والبعث هو الحياة الجديدة.

من هذا نجد أنّ القرآن فسّر بعضه بعضاً. ومن الملاحظ، أن الله (جل وعلا) قد كررّ مادة (خلق)، وهذا من محاسن الفصاحة في الكلام، يقول السيوطي: «التكرير، وهو ابلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط. وله فوائد: منها التقرير، وقد قيل، الكلام إذا تكرر تقرر... ومنها التأكيد. ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول... ومنها إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول، أعيد ثانيا تطريا له وتجديدا لعهده... ومنها: التعظيم والتهويل»...[٥٦].

فهنا التكرار في مادة خلق إنما جاء لتقرير هذه الحقيقة، وهي من عند الله (جل وعلا) ومن الملاحظ أيضا التنوع في الأسلوب القرآني للقضية الواحدة، قد يعزي هذا إلى دفع

الملل عن تكرار القضية بنفس الألفاظ والله اعلم بنفوس عباده، والأمرُ الآخر أنَ لكلِّ لفظة في القرآن مدلولها الخاص في السياق، ووقعها وتأثيرها في النفس، فمن أجل ذلك اختلفت العبارات... والله أعلم.

رابعاً: الطين أصل لباقي المخلوقات

قال تعالى ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

هنا تنبيه أن المخلوقات برمتها أساس خلقها هو (الطين)، ولو كان خلاف ذلك لصرّح.

الله (عز وجل) لهذا الأمر في كتابه يقول سيد قطب (رحمه الله): «كما أنّ سائرَ الأحياء في الأرض خُلقت من طين، فمن الطين كل عناصرها، فيما عدا سر الحياة الذي لا يدري أحد من أين جاء ولا كيف جاء»[٥٧]، هنا الطير خلقت من (طين) بواسطة أحد أنبياء الله لإثبات المعجزة التي منحها الله له وقد روي في قصة هذه الآية: «أنّ عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل أي الطير اشد خلقه وأصعب أن يحكى فيقولون الخفاش لأنّه طائرٌ لا ريش له، فكان يصنع من (الطين) خفافيش ثم ينفخ فيها فتطير وكل ذلك بحضرة الناس ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر...»[٥٨]، بمعنى انّه- عيسى- كان يصنع وليس يخلق فبينهما فرق لأن «الإيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك (الطين) فمن الله تعالى وحده لا شريك له...»[٥٩]، وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل لِمَ الطين دون غيره من العناصر أو المواد التي يمكن الاستعانة بها في صنع مثل ذلك كالصخور أو الخشب أو القماش؟! التصور الأول أن (الطين) الذي هو عبارة عن (تراب + ماء) في متناول اليد، سهل التشكيل، وسريع الجفاف، أمّا الصخور أو الخشب فهي بحاجة إلى أدوات ومعدات من أجل الصنع، هنا الخلاف مع الطين. أضف إلى ذلك الإقرار بقصة الخلق الأول خلق سيدنا آدم من (طين)، والمعنى أنّ هذه المخلوقات أيضا خُلقتْ من الطين. والله اعلم.

خامساً: الطين سلاح من عند الله

قال تعالى: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات: ٣٣- ٣٤].

جعل الله عذابَه متنوعاً وعقوباته متباينة، فلم يهلك الأقوام بوسيلة واحدة،أو بطريقة متشابهة، فالعقاب تبعا للجرم الذي تقترفه العباد، وقد نبأنا العليم بأنبائهم، يقول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، إلى أن قال (جلّ وعلا): ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥].

وأمّا عقوبة عاد فكانت الريح: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦].

هذه أمثلة وفي القرآن الكثير، أما (الطين) فقد استخدمه رب العالمين كأداة أهلك بها قوماً قد أسرفوا بالآثام، وارتكاب المحارم، وهم قوم لوط.

يقول الثعالبي: «حجارة من طين بيان يخرج عن المعتاد، حجارة البرد التي هي من ماء، ويرى أنّه (طين) طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر...»[٦٠].

وأضافَ النسفي توضيحا لهذه الحجارة قولا: «أُريد السجّيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة، مسومة معلمة من أسومة وهي العلامة على كل واحدٍ منها اسم من يهلك به (عند ربك) في ملكه وسلطانه»[٦١].

وقد أرسلها الله سبحانه من السماء لأنّ الآيات في سورة هود قد بيّنت ذلك: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [الآيتان ٨٢- ٨٣].

وفي سورة الحجر أيضا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الآية: ٧٤].

وقد كان لسيد قطب رأي في الإرسال لحجارة من طين إذ يقول: «لا يمتنع أن تكون حجارة بركان ثائر يقذف بالحمم الطيني من جوف الأرض، فهي» عند ربك «بهذا الاعتبار مسلطة- وفق إرادته ونواميسه- على من يريد من المسرفين، مقدرة بزمانها ومكانها وفق علمه وتدبيره القديم»[٦٢].

ولم يعذبهم حتى يستنفذ كل السبل المرجوة لهديهم، وعند إصرارهم على اقتراف الآثام والمعاصي، وتكبرهم وطغيانهم عندئذ ينفذ فيهم العقاب والعقاب عادة ما يكون من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

وهذه رسالة للبشر فيها التحذير من العقاب الإلهي، الذي إذا جاء لا يخفف ولا يؤجل.

سادساً: الطين عنصر البناء الأول

قال تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

اتفقَ المفسرون في شرح الآية المباركة، أن فرعونَ أمرَ وزيرَه هامان ببناء صرحٍ عالٍ، ليطلعَ على إله السماء، وقوله كلّه استكبارا وكفرا وكان هذا الصرح مبنيا من الطين، «وكان فرعون أولَ مَن طبخَ الآجر وبناه»(٦٣).

وقال ابن كثير: «أمر فرعون وزيره هامان ومدبّر رعيته ومشير دولته أن يوقدَ له (الطين) يعني يتخذ له أجراً لبناء الصرح وهو القصر المنيّف الرفيع العالي...»(٦٤).

وكما جاء في الخبر «روى أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بنّاء سوى الإتباع والإجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيده حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من خلقه...»(٦٥).

بناء عظيم قيل فيه: «وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أنْ تنسفه الرياح وكان طولُه في السماء خمسة آلاف ذراعا وعرضه ثلاثة آلاف ذراعاً فلما فرغ من بنائه جاء جبريل عليه السلام فضرب جناحه على الصرح فهدمه...»(٦٦).

من الآية العظيمة نستلهم الدروس والعبر على شكل رسائل موجزة نذكر منها:

الرسالة الأولى: إنّ الطغاة والجبابرة، والمتكبرين مصيرهم الهلاك والصور شتى فالقرآن يقف وقفات أمام أحوال هؤلاء الصنف من البشر ويريك لغتهم وأسلوبهم مع الغير وتصرفاتهم وأعمالهم لتخرج أنت بالحكم والنتيجة، ومع ذلك يحذرنا الله من التكبر والعلو لأنّ الكبرياء والعزة لله وحده لا ينازعه أحد فيها، وأيّما شخص أراد ذلك فبئس المصير والعذاب الأليم يكون حاله، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

الرسالة الثانية: البنيان الشاهق والصروح العظيمة، فإن بانيها سيكلف بحملها يوم القيامة، وفي الحديث– وكان بإسناد جيد «كل نفقة في الأرض يؤجر عليها إلاّ ما أنفقه في الماء والطين»[٦٧]، ويعني الرياسة والتطاول في البنيان.

وذكر كذلك الإمام الغزالي حديثا أخر للنبي ﷺ إلاّ أنّ الحديث ليس بقوة الأول فذكر: «وقال النبي ﷺ من بني فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله، رواه الطبراني من حديث ابن مسعود...»[٦٨].

لذا ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

الرسالة الثالثة: عملية طبخ الطين على النار ليكون آجرا تنّبه إليها فرعونَ وبعد ذلك أصبحت الأساس في عملية البناء القوي والمتين.

من طرائف ما وجدت أنّ فرعون ملك مصر صنعتهُ بائعاً للبطيخ ووزيره هامان كان طيّاناً. فهؤلاء الناس عندما يتسيدون يطغون لعدم استيعابهم ما هم فيه من مكانه ونقول إنّ فاقدَ الشيء لا يعطيه.

ذكر السمعاني: «وفي تفسير النقاش إنّ فرعون كان يبيع البطيخ في ابتداء أمرهِ وهامان كان طيّاناً»[٦٩].

دلالةُ التعريفِ والتنكيرِ في لفظةِ (الطين)

جاءت لفظةُ (الطين) معرّفة بـ(أل)، ومنكرة في مواضع من القرآن الكريم، إذ نجد أن آيات الخلق كلها جاء (الطينُ) فيها منكرا، وهذا الأسلوب أضفى صفة الغموض على هذا المخلوق، فنوع (الطين) الذي خُلقَ منه سيدنا آدم غير مألوف فهو (طينة خاصة) أخِذت من جميع بقاع الأرض، «إذ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض»[٧٠].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام: ٢].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦].

ويكون أيضا كنوع من أنواع التحقير، (وهنا رسالة إلى البشر كافة ألاّ تنسوا أصلكم الذي خلقتم منه)، فهو شيء زهيد أو قد يكون حقيراً دنيئاً، فيما لو قورن بغيره من عناصر الطبيعة، ذكر السيوطي قاعدة في التعريف والتنكير الذي جاء في القرآن الكريم، إذ يقول: «اعلمْ أنَ لكل منهما مقاماً لا يليق بالآخر: أمّا التنكير فله أسباب: إحداهما: إرادة الوحدة... الثاني: إرادة النوع... الثالث: التعظيم... الرابع: التكثير... الخامس: التحقير، بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف... السادس: التقليل...»[٧١]. فقاعدة التحقير تنطبق على مثال (طين) الواردة في الآيات السابقة، أما قوله تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

فـ(طين لازب) لم يُحدِد أيَّ طين بالضبط، ولكن ضُيقت دائرة التنكير، فالإضافة هنا لم تفد التعريف، وهذا ما يسمى الإضافة اللفظية (المجازية) أو الإضافة غير المحضة[٧٢].

«وهي التي لا تفيد المضاف تعريفا ولا تخصيصا، فيظل معها نكرة كما كان من قبل»[٧٣]، وعليه فأنّ ﴿طِينٍ لَّازِبٍ﴾ بقيَ نكرةً، ولم تتضح دلالته الحقيقية، وهذا يدلل على ان التنكير هنا جاء لغرض بياني، هو التخصيص في النكرة نحو ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢][٧٤]، بمعنى أن ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ بقت نكرة وهذا يؤكد ما ذكرناه في خلق آدم كان من طين علمه عند (الله سبحانه) ولا يعلمه أحد وجاء الطين منكراً مع العقاب الذي انزله الله (جل وعلا) على قوم لوط ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٣-٣٤].

إرسال الحجارة من عند الله هذا يعني أنّ هذا الطين المتحجر نوع لم تألفه الناس لأن المرسل هو الله، فالتنكير أولى في هذا المقام.

ومن ذلك نخلص بنتيجة أنّ التنكير في لفظة (الطين) جاء في الطين الغيبي الذي علمه فقط عند الله. والقصد انه ليس بالطين المعلوم لدى البشر.

أما (الطين) وهو في حالة التعريف بـ(الـ)، فمنتهى القول فيه أنّه (الطين) الجوهر المعروف لدى الناس، ودليل ذلك الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة وهي في حالة التعريف بـ(الـ):

قال تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ [القصص: ٣٨].

فالتعريف بـ(الـ) لـه غاية، ذكر السيوطي ذلك: «... وبـالألف واللام «وحديثه عن التعريف»[٧٥]، للإشارة إلى معهود خارجي أو ذهني أو حضوري...»[٧٦].

فالطين هنا معهود حاضر أمامك، وهو الطين الجوهر المدرك للعيان– كما ذكرنا سابقا والذي تتناوله الأيدي وتصنع منه الأشياء، ففي خلق الطير آية إعجازية لسيدنا عيسى كان الأمر يقتضي أن يكون (الطين المعلوم) دنيوياً من أجل إثبات معجزته، ولو أرسل إليه الطينَ– من عند الله– لما حصلت المعجزة، فاقتضى المقام أنْ يكون معرفاً بـ(الـ). وكذا الحال للبناء الذي أمر به فرعون هامان، كان الأمرُ تشيداً حقيقياً، ومن فعلةِ البشر، والمعنى أن (الطينَ) كان الطين المعلوم في الدنيا.

فاغلب الظن أنّ التعريف والتنكير في لفظة (الطين) إنمّا جيء به للتفريق بين الطين الذي استخدمه الله في الخلق وغيره، وبين الطين الذي تعلمه البشر.

فالمقام يقتضي التنكير كلما كان الأمر متعلقاً بالله (جل وعلا)، والتعريف مع ما تألفه الناس– والله اعلم–.

الخاتمة

أهم ما يمكن أنّ يُستخلص من هذا البحث أنّ الطينَ (اسمُ عينٍ)، تم الاشتقاق منه مشتقات اسمية وفعلية، فالاسمية: المصدر (طَيْناً)، واسم الآلة– غير قياسي– (طِينة)، والصفة المشبهة (مَطِين)، وصيغة (فعّال) للدلالة على صاحب الحرفة (طيّان)، وللحرفة ذاتها فعّالة (الطيّانة). ومشتقات فعلية وبالأوزان القياسية، ما كان منها مجرداً ومزيداً، (طان– يطين)، (طيّنَ– يُطيّنُ)، وباختلاف الأزمنة (طانَ فعل ماضٍ)، (يطينُ فعل مضارع)، (أطِن فعل أمر)، وتبيّن أنّ الفعل المشتق من (اسم العين) (الطين) يُرّد إلى الباب

الثاني، قياساً لما قالت به العرب، وتحقُق قضية الاشتقاق من الاسم الجامد. فقد أخذَ المشتق معناه وتركيبه من المشتق منه (الطين)، وباختلاف الصيغ، بل أنّ المعنى المجازي قد ارتبطَ هو الآخر بالمعنى الحقيقي، الدلالة على الجِبلّة.

وقد لعبت هذه اللفظة دوراً بارزاً في حقل الدلالة لاسيما الدلالة القرآنية، وحصلَ التميز بين (الطين) ما كان دنيوياً وما هو أخروي، ما يتعلق بعلم الله خاصة، وقد أضفى التعريف والتنكير دلالية لطيفة لهذه اللفظة، وكما بيناها، ووجدنا- أيضا- أنّ في الطين العِبر والمواعظ التي توجّه بشكل مباشر دونها استنباط، فالآيات التي وردت فيها لفظة (الطين) صريحة، والإرشاد يوَجّه للناس كافة، عن طريق مادة رخيصة بمادتها عظمة في مدلولاتها، فمن الطين خلقنا، ومن الطين تُخلق المخلوقات، وبالطين نبني الأرض ونعمرها، وبه قهرَ الله (عزّ وجل) العباد، وإلى الطين مصيرنا قبل المعاد، ومازلنا نستلهم منه العِبر والمواعظ...

فسبحان الله الذي تحدى الخلق بأدنى المواد وأبخسها. ولن يعجزه ما هو أدنى أو أعلى، فهو وحده القادر المقتدر فتبارك الله في علاه. والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هوامش البحث

(١) لسان العرب (طين).

(٢) التعريفات ٤٩.

(٣) الاستشقاق من (اسم العين) دراسة في معجم لسان العرب، رسالة ماجستير ٢٨.

(٤) ينظر: الكتاب ٤٤/٤.

(٥) في تصريف الأسماء ٣٢٤.

(٦) الاشتقاق من اسم العين دراسة في معجم لسان العرب، رسالة ماجستير ١١٢.

(٧) الكتاب ٢٤/٢.

(٨) التعريفات ٢٢.

(٩) ينظر: مختار الصحاح ٤٠٣.

(١٠) ينظر: الكتاب ١٧/٤.

[١١] لسان العرب (طين).

[١٢] ينظر: الكتاب، ١١٠/١، ولمزيد من الفائدة عن صيغة المبالغة ينظر: المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٩٥م ١٣٣- ١٤٥.

[١٣] في معاني الأبنية العربية ١٠٨- ١٠٩.

[١٤] الاشتقاق من (اسم العين) رسالة ماجستير ١٤٦.

[١٥] ينظر: المصنف ١١/١- ١٧.

[١٦] في تصريف الأسماء ١١٦.

[١٧] المصدر نفسه ١١٩.

[١٨] ينظر شرح الشافية ٣٣١/٢، التصريف الملوكي ٥.

[١٩] الممتع في التصريف ٤٢٥/٢.

[٢٠] المصدر نفسه ٤٣٧/٢ -٤٣٨.

[٢١] نفسه ٤٦٣/٢.

[٢٢] ينظر، مختار الصحاح ٤٠٣، النهاية ١٥٣/٣.

[٢٣] مادة (طين).

[٢٤] ينظر: جذور معجم لسان العرب على سبيل المثال.

[٢٥] ينظر: في تصريف الأسماء ٨٢- ٨٣.

[٢٦] ينظر: الارتشاف ١٨/١، المزهر ٥/٢.

[٢٧] الممتع في التصريف ٣٢/١.

[٢٨] الخصائص ٨٤/٢.

[٢٩] المنهج الصوتي للبنية العربية ١٦٨.

[٣٠] المزهر ٤٦٠/١.

[٣١] لسان العرب طين.

[٣٢] ما بين معقوفتين لنا لحاجة التوضيح.

[٣٣] الممتع في التصريف ٣٩٣/١- ٣٩٤.

[٣٤] هذا الجذر في معجم لسان العرب ٣٧٣/١٣.

[٣٥] لسان العرب (طيم).
[٣٦] فقه اللغة العربية ٤٥٧.
[٣٧] فقه اللغة وسر العربية ٢٦٨.
[٣٨] في ظلال القران ٥/٢٣- ٣٠٢٧.
[٣٩] هدي الساري ٦/٣٦٤.
[٤٠] مشكل الحديث وبيانه ١/١٠٢.
[٤١] هدي الساري ٦/٣٦٤، وينظر: الدر المنثور ١/١١٨.
[٤٢] لمزيد من الفائدة ينظر: أضواء البيان م /٢٧٤ وما بعدها.
[٤٣] في ظلال القران ٣/ ١٢٧٢.
[٤٤] ينظر: المصدر نفسه.
[٤٥] المصدر نفسه، والمكان نفسه.
[٤٦] مجلة الإسلام والديمقراطية العدد ١٩ لسنة ٢٠٠٨.
[٤٧] المصدر نفسه، الموضوع نفسه.
[٤٨] هدي الساري ٦/٣٦٤.
[٤٩] أضواء البيان ١/٣٣- ٣٤، وينظر: التفسير الكبير ١٤/ ٢٩.
[٥٠] لسان العرب (سلل).
[٥١] ينظر: التفسير الكبير ٢٣/٧٤.
[٥٢] مختار الصحاح ٦٣٨، وينظر: لسان العرب مهن ١٣/ ٤٢٥.
[٥٣] الفرق بين الفرق ١/٣٤٦.
[٥٤] إحياء علوم الدين ٤/٤٣٦.
[٥٥] ينظر: تفسير الطبري ١٨/٩، التسهيل لعلوم التنزيل ١٣/١٣٠، التفسير الكبير ٢٣/٧٤.
[٥٦] الإتقان في علوم القران ٤٩٧- ٤٩٨.
[٥٧] في ظلال القران ٥/٢٣/ ٣٠٢٧.
[٥٨] المحرر الوجيز ١/ ٤٣٩.
[٥٩] المصدر نفسه، الموضع نفسه.
[٦٠] تفسير الثعالبي ٤/ ٢٠٩.

(٦١) تفسيره ٤/ ١٨٠، وينظر: صفوة التفاسير ٣/ ٣٩٦.

(٦٢) في ظلال القران ٦/ ٣٣٨٣/٢٧.

(٦٣) تفسير مقاتل ٢/ ٤٩٧، وينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٦٠٨- ٦٠٩، التسهيل لعلوم التنزيل ١٠٦/٣، تفسير البغوي ٣/ ٤٤٦، تفسير الكشاف ٣ / ٤١٧، تفسير النسفي ٣/ ٢٣٧.

(٦٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩١.

(٦٥) الكشاف ٣/ ٤١٧، وينظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٢٧٦، إحياء علوم الدين ٤/ ٢٣٦.

(٦٦) تفسير السمر قندي ٢/ ٦٠٩.

(٦٧) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٣٦.

(٦٨) المصدر نفسه الموضوع نفسه.

(٦٩) تفسير القران للسمعاني ٤/ ١٨٠.

(٧٠) فتح الباري ٣٦٤/٦.

(٧١) الإتقان في علوم القران ٣٦١/٣٦٠.

(٧٢) ينظر: شرح ابن عقيل ٤٤/٣- ٤٧.

(٧٣) المحيط في علوم اللغة ٢١٩/٢.

(٧٤) الإتقان في علوم القران ٥٠٢.

(٧٥) ما بين معقوفتين لحاجة التوضيح.

(٧٦) الإتقان في علوم القران ٣٦٢.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. الإتقان في علوم القران/ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩- ٩١١هـ)، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٢. إحياء علوم الدين/ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، لا ط، لا ت.
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د.مصطفى أحمد النمّاس، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم/ لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، المسمى تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، لات.
٥. الاشتقاق من (اسم العين) دراسة في معجم لسان العرب/ ابتسام عباس علاوي، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٠م.
٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لا ط، ١٩٩٥م.
٧. بحر العلوم/ نصر بن محمد بن احمد أبو الليث السمرقندي، المسمى بتفسير السمر قندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت– لبنان، لا ط، لات.
٨. التسهيل لعلوم التنزيل/ محمد بن احمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ٤، ١٤٠٣هـ/١٩٩٣م.
٩. التصريف الملوكي/ لأبن جني، مطبعة شركة التمدن الصناعية، ط١، لا ت.
١٠. التعريفات/ الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، دار الكتاب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
١١. تفسير البغوي/ للبغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، لا ط، لات.
١٢. تفسير القران/ لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، المسمى تفسير السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض– السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.
١٣. تفسير القران العظيم/ للإمام الجليل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي (ت٧٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، لا ط، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
١٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العالمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
١٥. تفسير مجاهد/ مجاهد بن جبر المخزومي التابعي (أبو الحجاج) تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت– لبنان، لا ط، لات.

١٦. تفسير مقاتل بن سليمان/ أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق ك احمد فريد، دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٧. تفسير النسفي/ للنسفي، لا ط، لات.
١٨. جامع البيان في تأويل آي القرآن المسمى (تفسير الطبري)/ محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٩. الجامع لأحكام القران، المسمى (تفسير القرطبي)/ أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة، لا ط، لات.
٢٠. الخصائص/ لابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م.
٢١. الدر المنثور.
٢٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ ابن عقيل (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢٣. شرح الشافية/ للرضي الاستراباذي، محمد بن الحسين (٦٨٦هـ)، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٤. صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٢٥. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية/ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (أبو منصور)، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
٢٦. فقه اللغة العربية/ د.كاصد ياسر الزيدي، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
٢٧. فقه اللغة وسر العربية/ لأبي المنصور الثعالبي (ت٤٣٠هـ): تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحميد الشلبي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٩٧٣.
٢٨. في تصريف الأسماء/ د.عبد الرحمن شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٧٧م.
٢٩. في ظلال القران/ سيد قطب، دار الشروق، ط٣٤، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.
٣٠. في معاني الأبنية العربية/ د.فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١، ١٩٨١م.

٣١. الكتاب (سيبويه)/ لأبي بشر عمرو عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، لا ط، لا ت.
٣٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ط، لا ت.
٣٣. لسان العرب/ لابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، لا ط، لا ت.
٣٤. مجلة الإسلام والديمقراطية.
٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٣٦. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها/ محمد الإنطاكي، مكتبة دار الشروق- بيروت، لا ط، لات.
٣٧. مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، دار الرسالة- الكويت، ١٩٨٣م.
٣٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ السيوطي (ت٩١١هـ) شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.
٣٩. مشكل الحديث وبيانه/ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
٤٠. المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، دراسة صرفية- دلالية/ خديجة زبار الحمداني، رسالة دكتوراه، كلية تربية الأولى ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م.
٤١. المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم/ وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
٤٢. الممتع في التصريف/ لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: د.فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ط٥، ١٩٨٣م.
٤٣. المنصف/ ابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٤م.
٤٤. المنهج الصوتي للبنية العربية/ د.عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

٤٥. النهاية في الغريب الحديث والأثر/ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لا ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤٦. هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر (أبو الفضل العسقلاني)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لا ط، ١٣٧٩هـ.